رثة اعتمها الزرنيخ

ميسون صقر القاسمي

وإذ همت بالحديث
ألم تسمع هذياناً يتصاعد إلى الجبل؟
سقطت بعض أشجار اليوم من الغابة
وما زال الوقت على حافته
فيما كانت تهمهم
وتنثر بقاياها نثاراً مع الريح
كلما اشتدت.

لا ماضيَ لها..
فلا تسأل عما سقط حذوك
على باب
منذ لحظة
ولم تدرك ما يتحرك في الجسد
من أعضاء مستثناة بعد.

ستسحب خيطاً
لكن من سبقوك
كانوا أقرب لقطع الوتر من عمقه
فيما كانت مستلقياً على ظهر هذا الكون

لا حاجة لها في عتمة الكهف
سيذهب الحنين متكئاً على هواء مبعثر
أما الحياة الأخيرة
فستنحدر بالألم إلى حجر أملس
والحراس الذين يتناوبون الحراسة
والمكان الذي يستحق أن نرتاده بوحشتنا
سيسحبان السعادة الى عمق آخر

لا حاجة لها
إن لم نَعُدْ نحن
أشباه هذه الكلمات

لم نكن نحن
بل كانت أشباحاً
ترتاد أجساداً لنا
كلما هممنا لنكون

تنكَّرنا في لباس رهبان
سقطوا من النافذة علينا
في صورة جنود مخادعين
ونحن نختبئ في الشقوق
لحين بعيد.

وإذ هممتَ بالتقاط رمش
وإنْ تصاعد فيك الغليان
إنْ تصاعد الغبار بكتفك العاري
ما إن تنزوي لتترك أعضاء لك
وحدها الحُرَّة في المجيء
فيما كانت نائمة في رماد الجلد

جسدك وحده بلا عصب
تفسخت ملامحه
ولم تعد تملك دليلاً واحداً
على أبوتك لهذا الشقاء
لا أثر ليديك عليه
سوى بعض هواء هنا
يحيلون به هذا الوقت الى شجر
بعض رماد لرئة أعتمها الزرنيخ
أما آن لها أن تقشعر؟
أن تلوذ بالضيق؟
بعضٌ يكفي المسامير
لتثقب الأخشاب المتراصّة على الصدر
بعض هواء نحتاط منه

ونجلو الركام
وإن عاودتها السكينة
لن نحفر هذا الجسد ثانية تماماً
ما تبقّى منه لا يصلح إلا
زيتاً في الكهف ليومين
سيطفئ الوهج من تلقاء انحساره
وقعت الحجرة
ما عاد ممكناً أن نهادن الفراغ بالنظر
ولا هي التي تمزق عادتها
بمقبض حادّ
على قمة هذه اليد
ومثل زئبق يسحبون شعر دمها
ولا يعتادون هذا الذهب الذي تمشطه
ولا هذه الغريزة التي تربيها بعيداً
ولا نشمها

اتكأت على وحدة هذه المادة
شدّت خيطاً من عتمتها
وماتت
قبل تعرّفها على ما ينسج من حبال
وما يؤكل في الضغينة

من سبقوها ائتمنوها
وبفضل خديعتها الدائمة
وبدمها الذي امتزج ببعض خيانات
تنمو في لعابها السامّ
على هذه القشرة الأولى
بتعكير بسيط
منذ دهرٍ
ما كان يختزل من ثقوب
لم يدركه الوعي
ولا تاريخ لهذه الطرق التي
تذهب مباشرة وتسقط
على حافتها براكين
كانت طرقا ترتج من سخط
وتعاود تعرجها مراراً عند دخولنا

فلا تسأل عما بدا في النهار لها
لم يكن نهارها
كانت نهار لا أحد
ومثل قشور بلا نواة
وجدتك تنبش هذا الكلام الذي
على ضيق
لتخرج الديدان

وبوحشة ذهابها
وبهذا الجلد الذي أنت فيه
لا أحد غيرك يوشك أن يتحلل الى خلاياها
مادة تتسع
كلما مضغ الدم
سُلَّمَ جسد وحيد مضاء

الوعد الوحيد
يسجد على ركبة هذا اليوم
محدثاً ضجيجاً صاخباً

ليس لها أن تكون جبينك
لكن الخلاء الذي تحدثه في ممر حياتك
حيث تسقط مصابة
على سطح هذه العلامة
كمثل جسد ينفرط
الى مسامير صغيرة

لا وجه للبركة التي تحرر أسماكها بالموت
وعادة ينحسر وقتها لديك
كلما ابتعدت
فلا يوقظك ما يمكث في أعضائها من ماء

العتمة ستسري بظلك بعيداً
ولا أحد يجر جسدك اليوم
بقدرة فائقة على المداراة
فربما كانت أقل عند الجبل
واللحظة لم تمسك بغليانها عميقاً
إذ نعلم جميعاً أنك